الحزب الشيوعي الاسرائيلي والحركة الصهيونية

د. محمود محارب

عانى يهود اوروبا، في القرن الماضي، وخصوصاً في الجزء الشرقي منها، من القمع والاضطهاد والتمييز. وقد أطلق على اضطهاد اليهود وكرههم، لكونهم يهوداً، والرغبة في التخلّص منهم وطردهم، اسم اللاسامية. وأدى انتشار اللاسامية في أوروبا، حيث كانت تعيش أغلبية يهود العالم في القرن الماضي، الى ظهور المسألة اليهودية.

لم يكن رد فعل اليهود على ظهور اللاسامية وتفاقمها، موحّداً. فقد ظهر تياران أساسيان في أوساط اليهود هدفا الى حل المسألة اليهودية.

اعتبر التيار الأول ان اللاسامية، كغيرها من الظواهر العنصرية وقمع الاقليات الدينية والعرقية، لم تكن شيئاً متأصلاً في طبيعة الانسان، بل جاءت نتيجة ظروف اقتصادية، واجتماعية، وسياسية، محددة. لذلك، ناضل هذا التيار ضد اللاسامية واعتبر نضاله جزءاً من الكفاح العام من اجل التقدم والاشتراكية والديمقراطية وعالم أفضل. وانضوى تحت مظلة هذا التيار كل من القوى الماركسية، والاشتراكية، والليبرالية، والديمقراطية.

أمّا التيار الثاني، فقد اعتقد بأن اللاسامية ظاهرة أزلية ومرض وراثي لا يمكن الشفاء منه. واستسلم هذا التيار للأيديولوجية اللاسامية، وتخلّى عن النضال ضدها باعتباره غير مجدٍ ولا معنى له، وسعى الى حل المسألة اليهودية في أوروبا من طريق فصل اليهود عن المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانيها، وتهجيرهم الى فلسطين، واقامة الدولة اليهودية فيها. وقد مثّل هذا التيار آباء الصهيونية، وفيما بعد الحركة الصهيونية نفسها.

اعتبر الحزب الشيوعي الاسرائيلي نفسه، دائماً، معادياً للصهيونية. وعلى الرغم من ذلك، لم يطوّر الحزب موقفاً ايديولوجياً وسياسياً شاملاً من الصهيونية، الّا في مؤتمره السادس عشر الذي عقد سنة ١٩٦٩. وكان الحزب، قبل ذلك، يعبّر عن سياسته وموقفه من الصهيونية من خلال بعض المقالات والخطب التي يلقيها قادته، وأيضاً من خلال البيانات المقتضبة التي صدرت عن بعض مؤتمراته العامة. وعلى الرغم من ان هذه المقالات والبيانات كانت منقوصة وغير شاملة، الّا انها شكّلت خلفية لموقف الحزب من الصهيونية.

الحزب والصهيونية، ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨

خلال العقدين اللذين تليا قيام اسرائيل، ركّز الحزب معارضته للصهيونية على كونها ايديولوجية قومية ـ برجوازية رجعية، وانها أداة للامبريالية تسعى الى تحقيق «جمع الشتات».